القدرية المختلقة . فتطور الأحداث في روايات بلزاك يدهش بمنطقه الصارم وتاريخيته العميقة اللذين صور الكاتب من خلالهما احداثا موضوعية مرتبطة بمصائر هؤلاء وأولئك من الأبطال .

واذا كان ديكنز في الفترة المبكرة من ابداعه قد مال احيانا الى الشرطية الرومانتيكية في تطور الأحداث ، حيث يبدو واضحا منذ البداية ان « الشرير » سينال جزاءه وان البطل الفاضل سينتصر ، فانه في الخمسينات والستينات من القرن الماضي قد تخلى عن هذه الشرطية في أفضل رواياته الواقعية « البيت البارد » ، « الأزمنة الصعبة » ، « الآمال الكبيرة » . واقر بقوة الوقائع الموضوعية التي لايمكن تجاوزها والتي تحدد مصير البطل وشخصيته .

ان ممثلي الواقعية النقدية الذين قدموا صورا صادقة عن الحياة تحولوا بصورة حتمية الى ناقدين للواقع البرجوازي . فتصوير الواقع البرجوازي بصدق يعني تعرية هذا المجتمع وفضحه ، والفنان اذا تخلى عن موقفه الناقد يكون قد تخلى عن الصدق أي كف عن كونه فنانا واقعيا .

لانريد من خلال حديثنا عن الجوانب القوية في ابداع الكتاب الواقعيين النقديين في غرب اوروبا ان نهمل مسألة أخرى مهمة جدا ، هي ضيق أفق الواقعية النقدية المحتم تاريخيا. فمن جوانب ضعف الواقعية النقدية جهلها الاتجاه الذي يسير فيه المجتمع البرجوازي في تطوره التاريخي ، وعجزها عن اكتشاف تلك القوى التي يجب ان تقود ذلك المجتمع فيما بعد نحو نفيه وبناء المجتمع الجديد الاشتراكي ، وقد نجم عن ذلك بصورة حتمية تناقض في حل مسألة البطل الايجابي من قبل الكتاب الواقعيين النقديين .

ان الكتاب الواقعيين النقديين قدموا صورا رائعة وعميقة لحياة المجتمع البرجوازي في القرن التاسع عشر ولكنهم لم يدعوا الى تغييره . غير أن هؤلاء الكتاب الصادقين النزيهين استطاعوا من خلال رغبتهم في اصلاح ذلك المجتمع وتصحيحه ، الكشف بعمق عن جذور العلاقات الرأسمالية وفضح عيوبها الأساسية واظهار ان هذه العيوب ليست مصادفة بل هي نتيجة محتومة للعلاقات البرجوازية . ولذا قاد هؤلاء الكتاب القارىء الى استنتاج استحالة حل التناقضات ، التي كشفوها في أعمالهم الأدبية ، في أطر المجتمع البرجوازي ، رغم انهم لم يتوصلوا ، هم انفسهم ، الى ذلك الاستنتاج في تلك الأعمال ! ذلك هو المعنى الحقيقي لاعمال بلزاك وديكينز وتيكيريه الناقدة .